- **الإسلام والحض على الزواج**
- **من استطاع منكم الباءة فليتزوج**
- **الإسلام والحض والحث على الزواج**
- **ما فائدة الزواج؟**

من استطاع منكم الباءة فليتزوج

وأبدأ كلامي بعبارات عتاب. أقول معنوناً لها:

جهل أم استهانة ؟!

قـلت: المحزن حقًا أن نجهل تلك القواعد الشرعية، والأخلاق الإسلامية العالية، ثم نولّي وجوهنا قبل المشرق والمغرب، نستجدي النظم لحياتنا ونستورد المقننين لتشريعاتنا، ونستعين بخبراء الاجتماع والاقتصاد لحل مشكلاتنا، أفجهل ذالك أم استهانة؟!

أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله؟!

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾(١).

أقـول هذا لأبيّن مكانة الزواج في الشريعة الإسلامية، ومقام الأسرة في المجتمعات الطاهرة النقية.

وأبـدأ بـبيان حرص الشريعة على تزويج كل أيِّم والأيِّم كل من ليس له زوج مـن الـرجال والنساء، ولقد حضنا ــ سبحانه وتعالى ــ على ذلك، حتى أمـرنا بعون الشباب على الزواج، بل وعدهم على ذلك بالغنى إن كانوا فقراء، وهـذا بصريح قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

---

(١) سورة الزمر : ٥٤ ــ ٥٦.
(٢) سورة النور: ٣٢.

وقال ابن عباس (ﷺ) في تفسير هذه الآية: رغَّبهم الله في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد، ووعدهم عليه الغنى فقال: «إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله».

وقـــال أبو بكر الصديق (ﷺ) : «أطيعوا الله فيما أمركم من النكاح ينجز لكم ما وعدكم به من الغنى».

وقال ابن مسعود (ﷺ) : «التمسوا الغنى في النكاح».

وقال رسول الله (ﷺ) : «ثلاثة حق على الله عونهم : الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الأداء. والغازي في سبيل الله».

والمكـــاتب هو العبد الذي يشتري حريته من سيده بمال، فيعطى من مال الزكاة.

فإن قلت: وأين وعد الله الناكح بالغنى، ونحن نراه يزداد فقرًا؟

قلت: صدق الله العظيم وكذب كل مبطل أثيم، ومن تناول الدواء على غير القواعد الطبية تضرر ولم يجد إلا أسوأ النتائج الصحية.

وكذلك الحال في وعد الله الناكح بالغنى، فإنه وعد «الناكح يريد العفاف» كمـــا جـــاء بنص الحديث، ولم يعد الناكح يريد التفاخر بجمال زوجته وعلمها ووظيفتها، ثم لا يرضى هو وإياها إلا ببيت فيه من الأثاث والرياش والكماليات مـــا تغيـــظ به الزوجة الجارات القريبات، وكذلك هو لا يبالي أيَّ النساء يختار وحســـبه ذات الجمـــال والـــدلال إن أراد أن يختار، ولو أودت به إلى الخسار والبوار.

أفترون من هذا شأنه يحقق الله له وعده بالغنى إن تزوج؟!

أم يـــرديه ســـوء اخـــتياره، ثم لا يرى من جميلته إلا خلق أعوج وبيت أعرج؟!

الجواب ما نرى: لا ما نسمع. ونسأل الله العافية مما نرى ونسمع.

والمقصود مما تقدم، أن نوقن بأن الله قد وعد من أقدم على الزواج بقصد التعفف عن الحرام ــ وبنية الحصول على ذات الشرف والخلق والإيمان ــ في محكـــم كتابه أن يغنيه من فضله، وأن يوسِّع عليه رزقه وهذا يجعلنا ندرك إلى أي مـــدى تبـــلغ رحمـــة الله بعباده، حين يعينهم على قضاء شهواتهم المباحة. ويتفضل عليهم فوق ذلك بنعمه الكثيرة الممنوحة. فله الفضل سبحانه في الأولى والآخرة. ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (لقمان : ١٢).

والـــزواج عند جماعة من علمائنا واجب على كل قادر عليه، أما العاجز، فعـــلى الدولـــة المسلمة أن تعينه من بيت مال المسلمين، بنص الحديث المتقدم: «ثلاثة حق على الله عونهم» فإذا أضفنا إلى الحديث أمره تعالى لنا بتزويج كل مـــن ليس له زوج من الرجال أو النساء، أدركنا خطر العزوبة على الجنسين، وضرر الحرمان والوحدة على الطرفين؟

وليـــس كالإسلام من دين ولا نظام حياة يُعلي من قدر الزواج، ويرفع من شأن الغريزة الجنسية، ويسمو بالحياة الزوجية إلى أسمى مقام وأعلى مكان.

ولقـــد مـــدح الله أوليـــاءه المقربين لأنهم توجهوا إليه في دعائهم بأن يقر أعينهم بزوجاتهم وذرياتهم فقال ــ سبحانه وتعالى ــ في مدحهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (١).

ومَـنَّ ـ سبحانه وتعالى ـ على رسله بأن جعل لهم أزواجًا وذرية، فقال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٢).

وقـال رسول الله (ﷺ): «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه الله على شطر دينه»(٣).

وسـر هـذا الحديث أن المرأة خلقت أصلاً من ضلع الرجل كما جاء في السنة الصحيحة في شأن آدم وحـواء (عليهما السلام)، ولهذا قـال رسول الله (ﷺ) كما جاء في صحيح البخاري: «إنما النساء شقائق الرجال».

وعـلى ذلك فالمرأة هي النصف الثاني للرجل، تكمل رجولته، ويحقق هو أنوثـتها، فـإن تحقـق كمـال الرجل بعودة أنثاه التي اقتطعت منه إليه، أحس بالسكينة والاطمئنان، وأحست زوجته بالسعادة والأمان فإن كانا صالحين، أعان أحدهما الآخر على مشقات الحياة. وتأدية الرسالة التي من أجلها خلقهما الله.

ولم يكن الفقر حائلاً في المجتمع المسلم بين الشاب والزواج أبدًا، فكل من بلغ سن الزواج سعى إليه وحققه، ولم يكن يجد من الفتاة أو من أبيها إلا السؤال عن دينه وخلقه، أما ماذا يملك؟.

وما مؤهلاته وعمله؟

وما المهر الذي يستطيع دفعه؟

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٧٤.
(٢) سورة الرعد الآية: ٣٨.
(٣) رواه الحاكم وصححه.

كل هذا لم يكن من السؤال، ولا خطر لهم ببال.

واقرءوا القصة التالية المليئة بالعبر والعظات، وفيها كل خير لو اقتدى بها جميع البشر، ولما كان هناك مشكلات.

فقد روى الإمام أحمد بسند حسن عن ربيعة الأسلمي أحد أصحاب رسول الله (ﷺ): «ألا تتزوج؟» فقال: يارسول الله، إني فقير لا شيء لي، وانقطع عن خدمتك، فسكت رسول الله (ﷺ) ، ثم عاد ثانيًا ليقول له: «ألا تتزوج؟» فأعاد ربيعة الجواب، ثم تفكر وقال: «والله لرسول الله (ﷺ) أعلم بما يصلحني في دنياي وأخراي، وما يقربني إلى الله عني، ولئن قال لي الثالثة لأفعلن».

فقال له الثالثة: «ألا تتزوج؟».

قال ربيعة: فقلت يارسول الله زوجني.

قال: «اذهب إلى بني فلان، فقل إن رسول الله (ﷺ) يأمركم أن تزوجني فتاتكم» قال: ، فقلت: يارسول الله لا شيء لي.

فقال لأصحابه: «اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب».

فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه. فقال له رسول الله (ﷺ): «أوْ لِمْ» أي: قدِّم طعامًا وليمة لعرسك «فجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة».انتهى.

قلت: فماذا تقول فتيات اليوم؟

وما يقول الفتيان؟

إنهم على أغلب الظن يهزون رءوسهم سخرية من هذه القصة وصاحبها ويستبيحون لأنفسهم أن يتمتع أحدهم بالآخر دون زواج، ويغرر الجنس القوي

بالجنس الضعيف، فيفسدهن على وعد كاذب بالزواج أفهذا خير لكم أيها الناس؟

أم شـــرع ربكـــم وســـنة نبيكم خير لكم حين تُيسّرون على الراغبين في الزواج من الناس ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(١).

«من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه» .

قـــلت : الـــزواج مـــن أجّل نعم الله على عباده بعد هدايتهم إلى الإيمان به سبحانه، ويخطيء من يظن أن رغبة الرجل في امرأة يسكن إليها ورغبة المرأة في رجل تطمئن إليه وتعيش في كنفه، يخطيء من يظن أن هذه الرغبة الكامنة في الجنسين وصف بهيمي، وإحساس دنيء، ولكنها فى الحقيقة صفة من صفات الكمال البشري، ورغبة لم ينـــزه الله عنها أي نبي أو ولي.

* * *

(١)- سورة المائدة الآية : ٥٠.

لماذا حض الإسلام على الزواج؟

لم يخلق الله الإنسان عبثا، بل خلقنا لتعمير الكون ثم نموت، ثم نبعث مرة ثانية؛ لنعيد الحياة في عالم آخر سرمدي، يقول الله تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١).

وقد شرع الله الزواج لتعمير الكون، وما بعده في العالم الآخر السرمدي، وقد رأى الكثيرون ممن يبتعدون عن الزواج، ويرغبون عن اتخاذ الزوجة ــ وللأسف منهم فلاسفة كبار ــ المصلحة في البعد عن الزواج، وكان لابد من مناقشة الراغبين عن الزواج وحجتهم، والرد عليهم.

- أولاً: لماذا خلقنا الله؟
- هل خلقنا الله لننقرض أم لنتناسل؟

فقد خلقنا الله لنتناسل لا لننقرض، خلقنا لتعمير الكون، وخلق المرأة للرجل ليسكن إليها ــ يرتاح ــ وجعل بينهما المودة الحب- والرحمة كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

والسكن أمر نفساني وسر وجداني يجد فيه المرء سعادة تشمل المجتمع وأنس الخلوة بلا تكلف، وهذه من الضرورات المعنوية لا يجدها الإنسان إلا في ظل الزوجية، ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١١٥.
(٢) سورة الروم الآية : ٢١.

نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١).

فالسكون «النفسي والجنسي» هما الركن الأول من هذه الأركان، التي ذكرها الله في آية سورة الروم، وخاص بالزوجين، وهو تعبير بليغ من شعور الشوّق واللذة، والحبِّ.. ..، الذي يجده كل منهما باتصالهما والملابسة بإفضاء أحدهما إلى الآخر، الذي تتم به إنسانيتهما، فتكون منتجة أناسي مثلهما، وبه يزول أعظم وأشد اضطراب فطري، في القلب والعقل، لا ترتاح النفس وتطمئن في سريرتها بدونه.

وإنما تكون المحافظة على هذا الركن الركين بما أرشد إليه كتاب الله تعالى من قصد الإحصان في الزواج، وهو أن يقصد بكل من الطرفين إحصان الآخر، أي: عفافه وحفظه من صرف داعية النسل الطبيعي إلى اتخاذ الأخدان أو المسافحة، لأجل اللذة الجنسية والمتعة الحسية فقط... ..

وقصارى هذا الإحصان أن يقصد كل منهما هذا الاستمتاع بالآخر، وحكمته ضبط وسيلة النسل وحفظ النوع البشري، على أسلم وجه وأفضله.

ونجد أن الركن الثاني في الآية هو : المودة، أي المحبة التي يظهر أثرها في التعامل والتعاون، وهو مشترك بين الطرفين وأسرة كل منهما.

---

(١) الأعراف الآية: ١٨٩.

والـركن الـثالث: الـرحمة، التي لا تكتمل للإنسان إلا بعواطف الأبوة والأمومـة، ورحمـتهما بأولادهمـا، فيكـون لكل البشر ــ أو الأحياء عامة ــ حظ من هذه الرحمة الكاملة.

ومـن تدبـر أو تفكـر فـي هذه الأركان الثلاثة ــ حق التفكير، علم أن عـليها مـدار سـعادة الزوجية،الـتي هي جلّ سعادة الإنسانية . ، لذا ختم الله تعالى الآية الشريفة بقوله الكريم:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

أليـس فـي الآيـة إجابـة لسـؤالي! لماذا خلقنا الله؟ هل خلقنا لننقرض أم لنتناسل؟.

* * *

(١) سورة الروم الآية : ٢١.

ما فائدة الزواج؟

١ ـ الإنجاب:

وهو الأصل الذي لأجله وضع الزواج، والمقصود إبقاء النسل وألا يخلو العالم من جنس الإنس، وإنما خلقت الشهوة باعثًا له مستحثة، والحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب، مع الاستغناء عنها، إظهارًا للقدرة وإتمامًا لعجائب الصنعة وتحقيقًا لما سبقت به المشيئة الإلهية من تعمير الكون، وجرى به القلم.

والتوصل إلى الولد قربة من عدة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه، والأمن من غوائل الشهوة، حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله أعزب، فطلب الولد قربة لإبقاء الجنس، ويحث رسول الله (ﷺ) على تكثير أمته، والتبرك بدعائه، وطلب الشفاعة بموته.

وذلك أيضا لأن منعة الأمة وعزتها لا تكون إلا إذا كان لدى تلك الأمة _ أو الدولة _ العدة الضرورية والقوة اللازمة للأخذ بأسباب هذه القوة والمنعة؛ وهذه القوة لا تخرج عن كونها قوتين:

١- قوة روحية.

٢- قوة مادية:

فإذا ما اجتمعت للأمة هاتان القوتان، سادت وملكت، وصعب على أعدائها النَيل منها.

لقد جاء الإسلام فجعل القوة الروحية تنبع من الإيمان بالله تعالى.

ثم لما كانت أهم عناصر القوة المادية هي : الشباب، دعا رسول الله ﷺ أمته إلى التناكح والتناسل والتكاثر، في إطار من المحافظة على إيجاد الأبناء الصالحين، الأقوياء المؤمنين الذين يدافعون عن كيان الأمة ويحمون الوطن: كثرة قوية قد أخذت بأسباب الحياة البناءة، لا كثرة ضعيفة قد أهلكها سوء الغذاء والبناء، وألجأتها الحاجة إلي الإفساد والفساد، والضرر والإضرار لأنها حينئذ تكون كغثاء السيل ...! وهذا ما لا يريده الإسلام لأمته أبدا.

قال رسول الله ﷺ: –

(تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة) ([1]).

هنا نجد أن الزواج سنة رسول الله ﷺ فالإعراض عن الزواج شذوذ عن سنة رسول الله ﷺ والأصالة الزواج كفطرة فطر الله الناس عليها، وكأنه في نواميس الوجود، أنكر عليه الصلاة والسلام الإعراض عن الزواج، ونـدد بالمعرضين تنديدا شديدا، وتبرأ منهم فقال : (من رغب عن سنتي فليس مني، فإن من سنتي النكاح ، فمن أحبني فليستن بسنتي) ([2]) وروى الإمام البخاري ــ رضي الله عنه ــ في صحيحه وكذلك الإمام مسلم عن أنس قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها ([3]) فقالوا:

وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

([1]) رواه البيهقي.
([2]) رواه أحمد.
([3]) أي وجدوها قليلة.

قال أحدهم:

أما أنا فأصلي الليل أبدا.

وقال آخر:

أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر:

أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء رسول الله ﷺ فقال :

(أنتم الذين قلتم كذا وكذا ...؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني ([1]).

كما أخبر رسول الله بأن العُزَّاب هم شرار الناس وأراذل الموتى فقال في الحديث الذي رواه أبو ذر رضى الله عنه :-

(شراركم عزابكم، وأراذل موتاكم عزابكم) ([2]).

وهذا حق لا ريب فيه، لأن العزاب أكثر الناس شذوذا، واستهتارا بالقيم، وذلك لأن الشر والإثم أقرب إليهم من الآخرين بدافع خلوهم من المسؤليات، وافتقارهم إلى ما يشبع نهم الغريزة المعطلة والعاطفة المحبة.

ونادرًا ما تتوفر الاستقامة للأعزب، كما تتوفر في المتزوج، وذلك

([1]) البخاري ومسلم في صحيحيهما.
([2]) رواه أحمد.

لأن الأعـزب مهمـا اسـتقام وقـام وصلّى ... فإن اشتغاله بمقاومة شهواته ووسـاوس شـيطانه يصـرفه عـن الإقـبال على الله ، ويشوش عليه صفاء نفسه ولو في بعض الأحيان .

هـذا ... وقـد ورد فـي الحـض عـلى الزواج والإكثار في النسل، والترغيب فيهما أحاديث وآثار كثيرة، غير ما قدمنا وأسلفنا .

فعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال :

قال رسول الله ﷺ:

(ثـلاث حـق عـلى الله عونهـم : المجـاهد في سبيل الله، والمكاتب الـذي يـريد الأداء، والـناكح الذي يريد العفاف) ([1]) ثم بين لنا رسول الله ﷺ الفـرق الشاسـع، والفـرق العظيم، بين عبادة المتأهل وعبادة الأعزب، فيقول :

(ركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من غير متأهل) ([2]).

وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه قال :

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت:-

يـا رسـول الله ، ذهـب الـرجال بحديـثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، فقال رسول الله ﷺ:

(اجتمعن _ يوم كذا في موضع كذا ..)

فاجتمعن فأتاهن النبي ﷺ فعلّمهن مما علمه الله ، ثم قال :

١- رواه الترمذي والحاكم.

٢- رواه ابن عدي عن أبي هريرة (الكامل).

(مـــا مـــنكن مـــن امـــرأة تقـــدم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابا من النار).

فقالت امرأة :

واثنين ؟

قال رسول الله ﷺ:

(واثنين) ([1]).

ولقـــد روي عـــن معـــاذ بـــن جـــبل ــ رضـــي الله عنه ــ قال : قال رســـول الله ﷺ (مـــا مـــن مُســـلمِيَن يُتَوفى لهما ثلاثة من الولد إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهم).

قالوا : يا رسول الله ... أو اثنان .

قال : (أو اثنان) .

قالوا : أو واحد.

قال : (أو واحد).

ثـــم قـــال .. والـــذي نفســـي بيـــده إن الســـقط ليجرّ أمه بسريره إلى الجنة إذا احتسبته)([2]).

ونـــأخذ مـــن هـــذا الحديـــث فائدة عظيمة جليلة وهي، إذا افتقد الأبوان

١- رواه البخاري ومسلم

٢-رواه مسلم.

أبـــناءهما فـــي حياتهمـــا، فصـــبرا عـــلى قضـــاء الله، فإن لهما أيضا بذلك الشكر أو عظيم الأجر، ورفيع الدرجة.

٢- التحصن عن الشيطان وقطع التوقان إلى الشهوة، ودفع غوائلها، وغض البصر، وحفظ الفرج:

فيكون ذلك كله باعثا على عبادة الله ــ سبحانه وتعالى ــ في مقام الإحسان «تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »(١)

والمراد بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(٢).

فلا يشغل بالهم أي شيء يكرهه الله سبحانه وتعالى.

والشـــهوة إذا غلبت لا يقف في طريقها شيء، وجرت في اقتحام الفواحش مـــبررة تبريرات تجر إلى الكفر، كقولهم عن مقدمات الشهوات بالفنون الجميلة كالرقص والتقبيل والاحتضان وما إلى ذلك مما نشاهده على شاشات التليفزيون والسينما وغيرهما.

إن الـــزواج يدفع غوائل الوسوسة، التي تجاذب نفس المؤمن، لا سيما في صـــلاته، والله مطلع على قلبه، وقد يكون الصوم غير قاطع لأسباب الشهوة إلا إذا أضـــيف إليه وهن البدن، وهكذا لا يتم نسك الناسك إلا بالزواج حتى فسر بعضـــهم قولـــه تعالى: ﴿وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾(٣) بأنه الغلمة (٤) والإنسان بفطـــرته لا يستغني عن النساء لذا قال رسول الله ﷺ: « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب منكن».

---

(١) رواه مسلم.
(٢) سورة المؤمنون الآية: ٢.
(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٦.
(٤) العلمة: شدة الشهوة وإلحاحها.

وكان من دعائه ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي».

وقوله « أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي». فما يستعيذ منه رسول الله ﷺ- كيف يجوز أن نتساهل فيه؟!

حتى أن بعض الصالحين يقول:أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلي القوت،وقد أمر رسول الله ﷺ- كل من وقع نظره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله([1]) لأن ذلك يدفع وسواس النفس.

وأفتى العلماء بأنه لا يجوز الدخول على المغيبات « الغائب عنهن أزواجهن» إلا مع محرم، فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم.

بل إن بعض العلماء يفتخر بكثرة نسائه المحللات شرعا.

٣- الترويح عن النفس وإيناسها بالمجالسة، والنظر والملاعبة لراحة القلب وتقويته على العبادة:

فإن النفس ملول، وهي عن الحق نفور، لأنه على خلاف طبعها، فلو كلفت المداومة على الواجبات بالإكراه على ما يخالفها أحجمت وملت، وإذا روحت بالملذات في بعض الأحيان قويت ونشطت، وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكروب ويروح القلوب، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات لذلك قال الله تعالى ممتناً على عباده:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾([2]).

([1]) أهله: أي زوجته.

([2]) الروم : ٢١.

ومـــن الحِكَمِ القديمة: على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات، ساعة يناجي فيهـــا ربـــه، وساعة يحاسب فيها نفسه،وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه.ولا يكون العاقل طامعاً إلا في ثلاث:

تزود لمعاد،أو حرمة لمعاش، أو لذة من غير محرم.

* * *